العرب
الثلاثاء 2019/08/13
السنة 42 العدد 11435

كيف وصلنا إلى أحداث عدن

مؤسسات الشرعية اليمنية الفاسدة وراء الخسارات من عمران إلى عدن

لم يكن مفاجئا أن يفقد الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي و"الشرعية" نفوذهما على الأرض، فقد اختار هادي أن يكون على الهامش من البداية، وأن أكثر ما سعى إليه هو ووزراؤه والمحيطون به هو التمتع بالوجاهة التي يتيحها منصب الرئيس، بالمقابل كان العمل الميداني لأجل استعادة "الشرعية" بأيد أخرى، إذا اكتفى هادي بمتابعة ما يجري على الأرض عن بعد، بدءا بحصار عمران وصولا إلى أحداث عدن الأخيرة.

اليمنيون يدفعون ثمن ارتباك سياسة هادي

مصطفى النعمان
وكيل وزارة الخارجية اليمنية السابق

في 8 يوليو 2014 استولى الحوثيون على محافظة عمران بعد حصار استمر شهرين.

● في 21 سبتمبر 2014 تم التوقيع على اتفاق السلم والشراكة بحضور الرئيس هادي ومبعوث الأمم المتحدة جمال بنعمر وحضور ممثلي كل الأحزاب اليمنية.

● تم الترحيب بالاتفاق من كافة المنظمات الدولية والإقليمية، ورحبت به الحكومات العربية والسفارات الغربية.

> وقف الحرب بات غاية الأماني لدى اليمنيين، وليس أخلاقيا أن يطالب البعيدون عن الدماء والدمار باستمرارها حتى النصر

● في 21 يناير 2015 تم وضع الرئيس هادي تحت الإقامة الجبرية في منزله بصنعاء وشكلت جماعة الحوثيين مجلسا ثوريا لحكم البلد بموجب ما سمته إعلانا دستوريا.

● في 21 فبراير 2015 تمكن الرئيس هادي من الهروب والوصول إلى عدن.

● مرة أخرى تمت محاصرة الرئيس هادي هناك لكنه أيضا تمكن من الفرار عبر سلطنة عمان ووصل إلى السعودية.

● في 25 مارس 2015 استنجد الرئيس هادي بالمملكة العربية السعودية طالبا التدخل لاستعادة سلطته الشرعية في صنعاء.

● في 26 مارس 2015 بدأت الحملة العسكرية تحت شعار "عاصفة الحزم".

● في 21 أبريل 2015 صرح اللواء أحمد العسيري بأن "عاصفة الحزم" أتمت أهدافها، وأعلن بدء عملية "إعادة الأمل" لإعادة الأمن والاستقرار إلى اليمن والمنطقة.

● في 22 يوليو 2015 أعيد فتح مطار عدن بعد إخراج كافة قوات الحوثيين من داخل المدينة.

● في أكتوبر 2015 تم إخراج الحوثيين من مأرب.

هذا السرد هو ملخص زمني يمكنني أن انتقل منه إلى تفسير الأوضاع الحالية من وجهة نظري. كانت سنوات حكم الرئيس هادي في صنعاء متسمة بالارتباك وعدم القدرة على التحكم في مسار العمل السياسي، ولم يبذل الجهد المطلوب في مرحلة تحول وطني تستدعي متابعة ويقظة وتواصل.

ولا يساورني الشك في أنه استمتع بموقع الرئاسة ومباهجها وتصدره المشهد داخليا وخارجيا، وذلك أمر أراه طبيعيا بعد أن قضى حياته العسكرية كضابط مغمور قفز فجأة إلى موقع وزير الدفاع ثم نائبا لرئيس الجمهورية مدة 18 عاما في ظل حاكم كان الأقوى في تاريخ اليمن وأكثرهم حضورا ونفوذا... لقد أخبرني واحد من أقرب مساعدي هادي السابقين بأن الرجل كسول ولا يرغب في الاطلاع على الملفات وكان يحيل أهمها إلى أبنائه للتعامل معها.

لم يتمكن هادي من تحقيق الآمال التي خرجت من أجلها الشابات والشبان إلى الساحات مطالبين بالتغيير السياسي والاجتماعي، وأحال الأمر إلى مؤتمر الحوار الوطني الشامل الذي أنتج المئات وربما الآلاف من التوصيات التي تم إيجازها في مشروع دستور، ثم أيضا تم إقرار ما عُرف بالأقاليم الستة بطريقة كانت أقرب إلى العشوائية والفرض ووقع عليها البعض بمغريات السلطة واعترض البعض على استحياء.

إن الطريقة التي تمت بها إدارة المرحلة الانتقالية كان من المحتم أن تصل بالبلاد إلى الكارثة، فالرئيس اعتمد كلية على الدعم السياسي والمادي الخارجيين متجاهلا الداخل، وكان يقول لزائريه (أنا معي السفير الأميركي وجمال بنعمر).

اقتحم الحوثيون عمران تحت شعار "الجيش يقف على الحياد" لأن الرئيس صمت ولم يقاوم، ولم يقدر الأمر خطرا على الدولة اليمنية بل فرصة للتخلص من خصوم له، ثم واصلوا المسيرة لاحتلال صنعاء وقبل الرئيس باتفاق السلم والشراكة الذي كان تمهيدا للانهيار الذي تلاه، وتخلى عن اللواء علي محسن الأحمر وكان حريا به أن يستقيل حينها حفاظا على ما تبقى من كرامة الدولة التي أهدرت حين ترك اللواء الشهيد القشيبي يواجه مصيره وحيدا في عمران. وفقدت هذه الشرعية كل مشروعيتها الأخلاقية والوطنية بعد أن برهنت عن عجز فاضح منذ 2012، وورطت الإقليم في حرب كان يمكن تفاديها لو أنها كانت يقظة ونزيهة ووطنية. ونتج عن الفراغ الذي تسببت به نشوء أجسام مسلحة على امتداد اليمن صارت أقوى وأكثر تأهيلا وتدريبا من عناصر الحكومة.

قلت في أكثر من محفل إن الخطأ الأكبر في تعامل التحالف مع الرئيس هادي وأعضاء حكومته هو السماح لهم بتجنب الخوض في كل مراحل التخطيط والتنفيذ خلال الأشهر الستة الأولى، وفضل أن يكون التعامل معهم كضيوف كرام في المملكة، بل أني زدت بالقول إنه كان من المفترض توقيع اتفاق أسميته "عقد عمل" مع الرئيس وحكومته يبين مسؤوليات وواجبات كل طرف.

لكن ما حدث أنه تمت استضافة الرئيس في قصر فاخر، وتم تسكين كل القيادات في فنادق فاخرة لأشهر طويلة، وتم منحهم كافة التسهيلات التي تغري بالبقاء لا المغادرة والعودة إلى المقاومة واستعادة السلطة المغتصبة.

لقد توقع الناس إعادة تشكيل الحكومة بما يجعلها قادرة على العمل وكسب ثقة المواطن بها، ولكن مع مرور الوقت ثبت أنها غير قادرة وأن وزراءها فضلوا السكينة والهدوء خارج البلد مع أسرهم تاركين مصير الناس للمجهول.

فقد اليمنيون بعد مرور ما يقارب من خمس سنوات منذ بداية الحرب الأمل في حسمها، وصارت غاية الأماني وقفها ليبدأ الناس التكيف مع أوضاعهم بعيدا عن الخوف والهلع، ولا أتصور أخلاقيا وإنسانيًا أن يطالب البعيدون عن الدماء والدمار باستمرار الحرب حتى النصر.

إن الأوضاع المهترئة الفاسدة للشرعية بكل مؤسساتها وأوضاع المواطنين الكارثية وانقطاع المرتبات هي التي منحت المجلس الانتقالي الجنوبي قدرة السيطرة على الأرض في عدن! وهي التي ستمنح أي كيان آخر يقبله الناس بديلا عنها!

صحيح أن الرياض وأبوظبي دخلتا الحرب استجابة لطلب الرئيس هادي، لكن الصحيح أيضا أنهما ليستا جمعية خيرية للدفاع عن العاجزين والقيام بحمايتهم وإيوائهم... العاصمتان لهما مصالح تدافعان عنها وتحددان سقفها وبموجب هذا تدخلتا وبموجبه تقرران متى تتوقفان. أعني هنا أن قرار انتهاء المعارك العسكرية لم يعد قرارا يمنيا ولا يتوهم يمني واحد أن أحدا سيطلب من الرئيس هادي التوجيه بالتوقف أو الإذن بالاستمرار.

إن أقصى ما يتمناه هادي وأعضاء حكومته البقاء مرتاحين في قصره بالرياض وأجنحتهم الفارهة ومواكبهم المصاحبة، وألا يزعجهم أحد بأن الحرب توقفت، حتى لا تبدأ رحلتهم الجديدة في البحث عن قصر آخر وأجنحة أخرى في عاصمة أخرى.

ص8 آراء

المجلس الانتقالي لم يهبط بمظلة على عدن

عدن وصنعاء.. الجنوبيون يريدون عودة كيانهم

زيد بن رفاعة

تفتح عدن عينها على الأفق، حتى الهند، من قصرها الأثري قصر المعاشيق، وهو عبارة عن قلعة شيدها الإنكليز، ثم صار داراً للحكم بعد خروجهم من عدن (1967)، بعد احتلال دام (129 عاماً)، يقع على جبل يشكل شبه جزيرة صغيرة، يشرف من واجهته الأخرى على حيّ كريتر، وسط عدن. بعد تقلب الأحوال انتقل الحكم إلى حي التواهي، المشرف على ميناء عدن، وتحول قصر المعاشيق إلى سكن للرئيس عبدالفتاح إسماعيل، ثم إلى دار لضيافة كبار الوفود.

بين قصر التواهي وقصر المعاشيق تنقل المندوبون السامون بعدن، وثم رئاستي جمهورية اليمن الجنوبية، فالديمقراطية، والاسم الذي كان مستخدماً الجنوب العربي، فعدن حتى حضرموت تقع في أقصى الجنوب العربي، هذا الاسم يتطلع إليه العديد من الساسة العدنيين والحضارمة، كي يفكوا الارتباط باليمن الشمالي، وينتهي هاجس الوحدة، الذي دفع ثمنه الجنوبيون مضاعفاً، فالتسعة ملايين مع صغر المساحة، يوم عقد الوحدة بين عدن وصنعاء، تغلبوا بالعدد وابتلعوا المليونين ونصف المليون مع وسع المساحة، وهم أهل الجنوب.

كانت الوحدة عند خروج البريطانيين غير مطروحة، أما العلاقة بين ثورتي سبتمبر الشمالية وأكتوبر الجنوبية فلا صلة لها بالتوحيد، إنما كان للناصرية دور في هذا الربط، إضافة إلى تداخل الحدود والبشر بين الطرفين. غير أن تطلعات الوحدة العربية لدى جمال عبدالناصر الذي دعم الجبهة القومية ضد جبهة التحرير ثم تطورها عن طريق القوميين العرب، الذين تحولوا إلى الماركسية، جعلا الوحدة اليمنية بين الشمال والجنوب خطوة، من دون أن يقصدوا، إلى الوحدة العربية، التي كان يُنادي بها عبدالناصر، وربّما لو كان الأخير حيّا ما تشكل الحزب الاشتراكي اليمني، ليقود التوجه إلى الماركسية اللينينية، والدعوة الإعلامية إلى الاشتراكية ببلد ليس فيه أي أساس من أسس المدنية، ما عدا عدن، التي احتفظت بمدنيتها من البريطانيين، وكذلك المكلا بحضرموت، وإلا فبقية المحافظات كانت في يوم إعلان الجمهورية بعد الاستقلال (30 نوفمبر 1967) سلطنات تعيش ما قبل التاريخ، وليس فيها غير قصور السلاطين ومزارعهم.

كان ذلك بسبب الوضع العالمي، حيث الحرب الباردة بين الرأسمالية والاشتراكية، والوضع الإقليمي والنزعة الثورية القومية الناصرية، التي تريد موطئ قدم للقيام بالانقلابات، ضد الأنظمة الملكية، وأهمها المملكة العربية السعودية، فكانت الحرب اليمنية بوجود الجيش المصري، والدعم السعودي للإمامة، على الرغم من اختلاف المذهب، وقد ساهم جنوبيون في هذه الحرب بنفحة قومية ناصرية، وليست فيها دعوة إلى وحدة اليمن. فالوحدة عبر التاريخ لا وجود لها، إنما صارت من مبادئ الجبهة القومية وحزبها الطليعي، الذي تحول إلى الحزب الاشتراكي اليمني.

غير أن على الطرف الآخر، كان علي عبدالله صالح، الذي قتله حلفاؤه السابقون الحوثيون، حريصا على الوحدة، وجذب الجنوب إلى الفخ، في وقت يراه مناسباً، وهو سقوط الاتحاد السوفياتي، ومن الصعب على الجنوب التعامل مع السعودية، التي كان يعتبرها عدوة لعقود من الزمن. فافتعل مظاهرات الإخوان المسلمين ضد الوحدة، واضعاً الحزب الاشتراكي في موقف محرج، بسبب أن الأخير عدو للإخوان.

ابتلع الجنوبيون الطعم، وهرولوا إلى ما كانوا يدعون إليه من تحقيق الوحدة، ومن بين ذلك احتفاظ الكبار منهم بالمناصب العليا في الدولة الجديدة، مع دفع غير عادي من العراق، لذا يُعتقد أنه لو تأخرت الوحدة ثلاثة شهور فقط -أي إلى ما بعد غزو الكويت (2 أغسطس 1990)- لما سمح الوضعان الإقليمي والدولي بتحقيقها على الإطلاق.

قامت الوحدة يوم 20 مايو 1990، باحتفال في عدن، رفع علم الجمهورية الجديدة علي عبدالله صالح وعلي سالم البيض وبقية الزعامات من الطرفين، وأخذت قوافل الشمال تتجه إلى الجنوب وقوافل الجنوب تتجه نحو الشمال، كل يبحث عن منافع الوحدة. غير أن ما حصل منذ الأسبوع الأول -حسب أحد أعضاء هيئة الرئاسة- هو أن الرئيس بدأ يمارس دوره السابق في الجمهورية اليمنية، وحُصرت السلطات بيده، فصار الجنوبي يخضع لقوانين صنعاء، وصارت دوائر الجنوب تدار من قبل شماليين.

> أخذ الشماليون يحتلون الأراضي ودب الإهمال بعدن، فتحولت إلى مجرد قرية بلا خدمات وحلت محلت تعاليم الإسلاميين

إلى جانب ذلك أخذ الشماليون يحتلون الأراضي في عدن، وبقية المحافظات، ودب الإهمال في عدن، فتحولت إلى مجرد قرية، بلا خدمات، وحلت في شوارعها تعاليم الإسلاميين، من الالتزام بالحجاب إلى فصل صفوف الدراسة، التي كانت مختلطة سابقاً. غير أن أهم ما خاتل به علي عبدالله صالح الجنوبيين هو تبادل المعسكرات بين الجنوب والشمال، وعندما اشتدت الخلافات طرح علي سالم البيض عودة المعسكرات إلى مواقعها، وذلك لدرء الحرب المرتقبة، غير أن صنعاء رفضت ذلك رفضاً باتاً، حتى انفجرت حرب 1994، ومثلما وصفها الرئيس المصري الأسبق حُسني مبارك كانت حرب احتلال.

احتلت عدن، وتربع علي عبدالله صالح في قصر المعاشيق في فصل الشتاء، على أن عدن أصبحت عاصمة اقتصادية، لكن ذلك لا معنى له، بل ظل أسر المدينة وملحقاتها، ففُصل الجنوبيون كافة من الوظائف الكبرى والعسكرية والأمنية، واحتلت احتلالاً مباشراً. فعاد أهل عدن والجنوب عامة إلى ما قبل التحرير من الاستعمار البريطاني، يُطالبون بالتحرير من مستعمر جديد.

حاول علي سالم البيض التخلص من الخطيئة التي وضع فيها الجنوب، بالعودة إلى عدن والاهتمام بها، وفك الارتباط بميثاق الوحدة، فتشكل الحراك الجنوبي الذي يُطالب بعودة جمهورية اليمن الديمقراطية، حتى جاءت المبادرة الخليجية بعزل علي عبدالله صالح، وتعيين نائبه عبدربّه منصور هادي، لكنها فترة قصيرة، وسيطر الحوثيون على قصر الرئاسة. وبالفعل كان للوفود التي ظلت مع علي عبدالله صالح، الذي لم يغادر اليمن، أمل في العودة إلى الحكم، وبعدها وصلت الجحافل الشمالية إلى عدن وهيمنت عليها، ويذكر ضباط جنوبيون أن الكثير من المدنيين الذين احتلوا عدن كانوا عسكريين خلعوا ثيابهم، واختلطوا بالحوثيين.

هذه المرة احتلت عدن بالتعاون مع الإخوان والقاعدة (1994) وكان الرئيس الحالي قد حصل على منصب وزير الدفاع من قبل علي عبدالله صالح، ليجتاح به عدن، فهو جنوبي من أبين ومن أفراد الجماعة الذين هربوا بعد حرب (1986) إلى داخل الحزب الاشتراكي اليمني، وبعد تنفيذ الاجتياح عُزل عن وزارة الدفاع ليكون نائب الرئيس، وهو منصب لا أهمية له، حتى جاءته الفرصة فصار رئيساً. لكن الأزمة أكبر منه، لذا لم ير الجنوبيون حلاً قريباً، فظلوا يصرون على العودة إلى دولتهم جمهورية اليمن الديمقراطية، فالعلم الذي يرفعونه يشير إلى ذلك، لكن العودة قد تكون تحت مسمى آخر.

اشتد موقف الجنوبيين، ووصلوا إلى قصر المعاشيق، والسيطرة عليه تعني الكثير، أي عودة الدولة المفقودة، بعد وحدة، لم ينل منها الجنوبيون غير الحروب والاستلابات. قيل اليوم إن الهدنة قد بدأت بين القوات اليمنية، التي تمثل الجيش اليمني، المهزوم أساساً من قِبل الحوثيين ومقاتلي الجنوب، لكن على ما يبدو أن الحل، في هذه الأجواء، لا يكون، بالنسبة للجنوبيين، إلا بعودة كيانهم السياسي، أو ترتيب البلاد على أسس اللامركزية. هنا، قد يعترض أحدهم ويتساءل: وهل يُترك الشمال للحوثيين والتدخل الإيراني؟

قطعاً لا، على العكس، فدولة الجنوب تختلف عن دولة الحوثيين، وهم كعصابة مذهبية لا أكثر، يختلفون في نواح كثيرة، منها المذهبية؛ فهؤلاء سُنّة شافعية وأولئك زيدية متطرفة تسعى إلى القبول بولاية الفقيه الإيرانية، ولم تنسجم مع المذهب الزيدي نفسه، فسيجد الشماليون الذين ينافحون ضد الحوثيين، وعودة دولة الشمال إلى طبيعتها، دولة الجنوب عوناً، وانطلاقاً، بدلاً من تشتيت القوى الشمالية بين الجنوب والشمال. ومَن يتحكمْ في قصر المعاشيق يكنْ في الغالب صاحب المبادرة.